

منبر المحراب

استقبال شهر محرم (مستحبات وآداب)

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨١٣ - ٢٤ / ذي الحجة / ١٤٢٩ هـ

الموافق ٢٣/كانون الأول/٢٠٠٨ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- بداية التاريخ الهجري
- محرم شهر الحزن والمصائب
- كيف نستعد لاستقبال محرم؟

الهدف: التعرف الى مظاهر

استقبال شهر محرم، والاستعداد لعاشوراء

تصدير الموضوع: قال الإمام

الرضا (ع) - كما روي عنه -: «... إن يوم الحسين أفرح جفوننا وأسبل دموعنا... بأرض كرب وبلاء وأورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء. فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام. ثم قال: كان أبي - صلوات الله عليه - إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكأبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (ع).» نقلًا عن إقبال الأعمال (أمالى الصدوق: ١١١)

مقدمة: لقد تعددت وسائل وطرق

ضبط التواريخ والتقويم عند العرب ومن سبقهم إلى أن استقر الرأي على اعتماد الهجرة النبوية كمطلق للتقويم، ولتوضيح هذا الأمر نشير إلى ما يلي:

- إن التاريخ الهجري قد وضع في زمن النبي وقد أرخ به النبي أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة.

- إن بداية التاريخ الهجري كانت من هجرة النبي في شهر ربيع الأول إلى المدينة المنورة، وإن أول السنة الإسلامية الهجرية في ربيع الأول، لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله (البداية والنهاية، ج ٣، و ٤).

فقد ورد أن النبي دخل المدينة لاثني عشر خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك ثم رُدَّ إلى المحرم. (عنوان المعارف وذكر الخلائق، ص ١١).



الحزن والبكاء على جميع البلدان والمدن الشيعية، وتذرف الدموع حزناً على شهداء كربلاء.

ولهذا يستعدّ المواليون والمحيون في أقطار العالم لاستقبال هذا الشهر الحزين بمصيبة الحسين وزينب وبقية الأهل والأصحاب، انسجاماً مع الحديث الوارد عن رسول الله (ع): «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً...» (جامع أحاديث الشيعة ٢٥٥: ٢١). ويتجلى ذلك في العديد من المظاهر مثل:

أ- إقامة المآتم وإظهار الحزن على

الحسين (ع):

تمثل أيام عاشوراء بالنسبة للشيعة فضلاً من البكاء والعزاء على الشهداء. وهذه الممارسة الدينية كانت سبباً في تخليد صنّاع تلك الملحمة. وعاشوراء بالنسبة لأنباع أهل البيت يوم حداد وحزن، وهو بالنسبة لأعداء أهل البيت يوم فرح وسرور. وقد كان لأهل الشام ولأهل العراق في هذا المجال منهجان مختلفان: وصفهما السيّد الرضي في أحد أشعاره بالقول:

كانت مآتم بالعراق تعدّها

أموية بالشام من أعيادها

وورد عن الإمام الرضا (ع): «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر محرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكأبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبتته وحزنه وبكائه»

وقد ورد بشأن إقامة المآتم على الحسين (ع) العديد من الروايات والإشارات، منها ما أورده العلامة المجلسي في البحار: «وأقيمت عليك المآتم في أعلى عليين» (بحار الأنوار ١٤٢: ٨٩ و ٢٢٣)

وفي رواية طويلة تروي حال أم سلمة بعد أن علمت بمقتل الحسين حيث قالت: «رأيت رسول الله في المنام الساعة شعناً مذعوراً. فسألته عن ذلك قال (ع): قتل الحسين وأهل بيته... فنظرت إلى التراب الذي عندها في القارورة ووجدته قد تحول إلى دم عبيط، فجعلت ذلك اليوم يوم مآتم على

وقد أمر النبي بالتاريخ فكتب من حين الهجرة (المواهب اللدنية، ج ١، ص ٧٦، وسيرة مغلطاي) فلما قدم رسول الله المدينة مهاجراً أمر بالتاريخ، فكتب في ربيع الأول (فتح الباري، ج ٧، ص ٨٠٢، تاريخ الطبري ج ٢، ص ٨٨٣). وعليه فالتاريخ من يوم قدوم النبي مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول.

- إن جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم بدلاً من ربيع الأول، كما ورد في أكثر من مصدر، إنما حصل في فترة متأخرة عن النبي وبعد وفاته، وإن عمر بن الخطاب هو أول من أرخ من محرم بإشارة من عثمان وآخرين، وكان ذلك من محرم السنة الثانية للهجرة.

١- محرم شهر الحزن والمصائب:

محرم اسم الشهر الأول من السنة الهجرية، وسمي هذا الشهر محرم لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمون الحرب فيه أيام الجاهلية، وقد جعل أول يوم منه بداية السنة الهجرية، لكن بني أمية لم يحفظوا لهذا الشهر حرمة فأراقوا دم سيد الشهداء وأهل بيته من بني هاشم، وأصحابه الخلفاء، وإلى هذا أشار الإمام الرضا (ع) بقوله: «إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون القتال فيه، فاستحلّت فيه دماؤنا وهتك في حرمتنا، وسبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم يترك لرسول الله (ع) حرمة في أمرنا» (المناقب لابن شهر آشوب ٦٨: ٤).

قال السيد الحميري:

في حرام من الشهور أحلت حرمة الله والحرام حرام

٢- كيف نستعد لاستقبال محرم؟

يعيد شهر محرم إلى الأذهان ذكريات واقعة الطف، فصار حلوله يخيم على القلوب بالحزن، ويدفع محبي الحسين (ع) إلى تغطية جدران مجالسهم ومحافلهم باللون الأسود منذ يومه الأول، وإقامة مجالس العزاء حزناً على مصيبتته، فيطفي طابع

إليه يصعد الكلم الطيب

الحق. شهر علمنا فيه إمام المسلمين طريق مواجهة الظالمين على مدى التاريخ.

د- الاستعداد لزيارة الإمام

الحسين عليه السلام:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «من زار الحسين بن علي عليهما السلام في يوم العاشر من المحرم يظل عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة كتاب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله ﷺ. ومع الأئمة الراشدين». وبعد أن ذكر الإمام الباقر عليه السلام زيارة عاشوراء عقب قائلاً: «إن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة في دارك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك». ولزيارة الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى الثواب العظيم. أثر كبير في التاريخ والحاضر في المحافظة على الإسلام. وهذا ما أشار إليه الإمام الراحل عليه السلام بقوله: «أحيوا ذكر واقعة كربلاء وأحيوا ذكر الاسم المبارك لسيد الشهداء، فبإحيائهما يحيا الإسلام».

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة كتبت لهم الجنة... إلى أن قال: من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى واحداً كتب لهما الجنة» (وسائل الشيعة ج ٤٦، ص ٥٩٥. باب استحباب إنشاد الشعر في رثاء الحسين).

وجرت العادة أن يكون الإنشاد للشعر الحسيني واستماعه في مجالس عاشوراء الذي دعا الإمام الخميني عليه السلام إلى تفعيلها بقوله: «فلتقم مجالس ذكرى سيد المظلومين والأحرار بجلال أكثر وحضور أكثر فهي مجالس غلبة قوى العقل على الجهل، والعدل على الظلم، والأمانة على الخيانة، وحكومة الإسلام على حكومة الطاغوت». وأيضاً يكون إنشاد هذا الشعر واستماعه في مواكب اللطم التي دعا الإمام الراحل عليه السلام إلى الاستفادة من مضمونه فيما قال «يجب أن يكون اللطم الصدور محتوى أيضاً». هذه نبذة من آداب يوم عاشوراء اليوم الذي كان بحسب تعبير الإمام الخميني عليه السلام - يوم الولادة الثانية للإسلام والمسلمين.

نشاطه وحركته.. والإمام الحسين عليه السلام بشخصيته الجليلة وشهادته البطولية ملك قلوب ومشاعر مئات الملايين من الناس. ولو انتدب جماعة على هذا المخزن الهائل والنفس من المشاعر والمعنويات، - أي أن الخطباء لو استثمروا هذا المخزون العظيم بشكل صحيح لأجل إيجاد حالة من الانسجام والتناغم بين الأرواح الحسينية الكبيرة - لأصلحو قطعاً مهماً من العالم» (كتاب «الشهيد» للشهيد المطهري: ٤٢١-٥٢١).

والبكاء في ثقافة عاشوراء سلاح جاهز على الدوام يمكن رفعه عند الحاجة بوجه الظالمين. الدموع هي لغة القلب، والبكاء هو صرخة عصر المظلومية. ورسالة الدموع تتطوي أيضاً على حراسة دم الشهيد. قال الإمام الخميني: «إن البكاء على الشهيد إحياء للثورة، وإحياء لمفهوم أن فئة قليلة تقف بوجه إمبراطور كبير... إنهم يخشون هذا البكاء، لأن البكاء على المظلوم صرخة بوجه الظالم» و «لترتفع رايات عاشوراء المدممة أكثر فأكثر معلنة حلول يوم انتقام المظلوم من الظالم».

ج- تعزية المؤمنين:

عن آل محمد «فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام: ثم ليندب الحسين وبيته، ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه... وليعز بعضهم بعضاً بمصائبهم بالحسين عليه السلام، قلت: وكيف يعز بعضنا بعضاً؟ قال: تقول: عظم الله أجورنا بمصائبنا بالحسين عليه السلام وجعلنا من الطالبيين بئاره مع وليه الإمام المهدي...» (وسائل الشيعة ٦٦/٩٠٥/٤٦/ باب استحباب البكاء على الحسين)، وتعزية المؤمنين بعضهم البعض بمصائب الإمام الحسين عليه السلام فيها صورة من صور التبليغ عن رسالة شهر محرم الذي عبر عنه الإمام الخميني عليه السلام بأنه شهر انتصار الدم على السيوف، شهر تمكن فيه الحق من دحض الباطل ودمغ جبهة الظالمين والحكومات الشيطانية بختم البطلان. شهر علم الأجيال. على مر التاريخ. طريق الانتصار على الرماح، شهر سجلت فيه هزيمة القوى الكبرى أمام كلمة

الحسين عليه السلام» (الرواية بتصرف نقلاً عن بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٢٢٢. باب ٢٤- رؤية أم سلمة وغيرها رسول الله).

ب- تهية النفوس للبكاء والتباكى

على الحسين عليه السلام:

للبيداء على مصيبة أبي عبد الله ثواب كبير، وقد بكى الملائكة والأنبياء، والأرض، والسماء، والحيوانات، والصحراء، والبحر على تلك المصيبة (بحار الأنوار ٥٤: ٢٢٢ و ما بعدها، سفينة البحار ١: ٧٩).

فالبيداء على مصيبة سيد الشهداء تجديد للبيعة مع عاشوراء وثقافة الشهادة، واستمداد الطاقة الفكرية والروحية من هذه المدرسة. فإن البكاء يعكس الارتباط القلبى بأهل البيت وسيد الشهداء، وسكب الدموع هو نوع من إقرار العهد وتصديق على ميثاق المودة مع سيد الشهداء. وقد أكد الأئمة الأطهار على البكاء على مظلومية أهل البيت، واعتبروا شهادة الدموع دليلاً على صدق المحبة. قال الإمام الصادق عليه السلام كما روي عنه: «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر» (وسائل الشيعة ١٩٣: ١٠).

وعن الإمام الرضا عليه السلام قوله لريان بن شبيب في حديث طويل: «يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب فإنه ذبح كما ذبح الكباش...» (بحار الأنوار ٤٤: ٢١٢)، وفي حديث آخر: «... فعلى مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام» (بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٢).

وقال الإمام الحسين عليه السلام كما ورد عنه: «أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى» (بحار الأنوار: ٩٧٢). وبكى الإمام السجاد عليه السلام على الإمام الحسين عليه السلام عشرين سنة، ولم يوضع بين يديه طعام إلا وبكى (بحار الأنوار ٦٤: ٨٠). وقال الإمام الصادق عليه السلام كما ورد عنه: «كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين» (بحار الأنوار ٥٤: ٢١٢).

قال الشهيد المطهري في هذا المجال: «البكاء على الشهيد مشاركة له في ملحمته وتجاوب مع روحه، وانسحاق وراء

